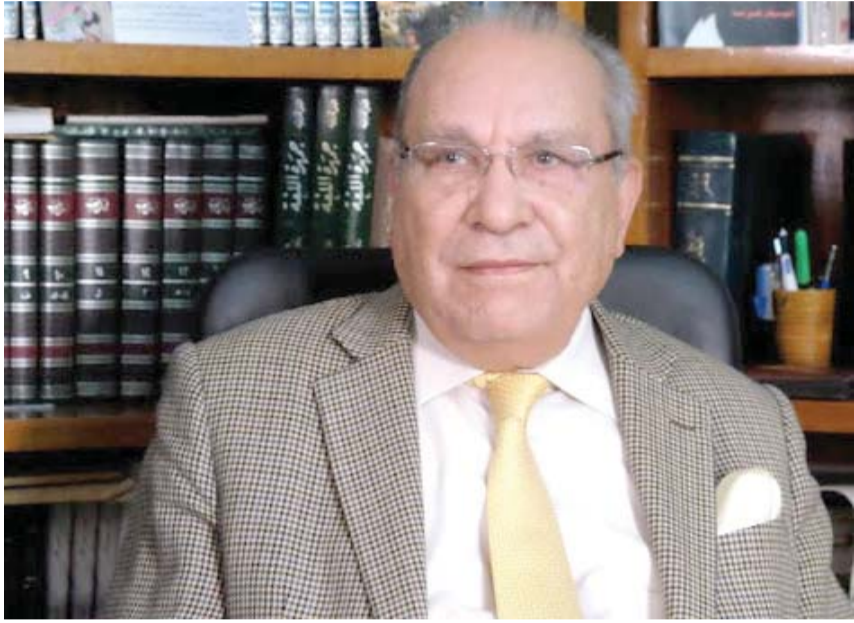


## صاحب «القمر الأحمر» وعمدة الكتابة اللاذعة

عبدالرفيع جواهري

ذاكرة المغرب في الشعر والسياسة والقانون

محمد ماموني العلوي  
صحافي مغربي

جمع بين فنون الأدب والسياسة والحقوق والقانون، وزاول مهنة المحاماة وهو الشاعر الذي يعتز بأنه مناضل وسياسي ممارس ضمن الاتحاد الاشتراكي الذي مثله دخل البرلمان نائبا عن مدينة مراكش. سلطته الأدبية ككاتب وشاعر، أهلتته لتروّس اتحاد كتاب المغرب خلال تسعينات القرن الماضي، فهو أحد أهم رواد الكتابة الساخرة في الصحافة المغربية. وهو أيضا واحد من مؤسسي المنظمة المغربية لحقوق الإنسان.

ولد عبدالرفيع جواهري بمدينة فاس في العام 1944 قبل أن يغادرها في السادسة عشر من عمره. لكن المدينة العريقة جعلته أسير سحرها وعمرانها وثقافتها ورجالها وتاريخها، فوَقَّ حنينه إليها في ديوانه "كأنني أفيق"، ليفلسف علاقته بالمدن التي قال إن لكل منها سحرها وعطرها وفتنتها وسرّها، تلك المدن التي علمته أن يغادرها كي يعود إليها، ولهذا كانت مدينة الرباط مقصده للدراسة العليا، وفيها درس القانون وأجيز فيه.

## برلمان الملائكة

كتابات الساخرة كانت تعبيراً رمزياً عن فترة صعبة من تاريخ المغرب السياسي، من خلال عهده الشهير "نافذة"، الذي كان يكتبه بانتظام في جريدتي "الاتحاد الاشتراكي" و"الأحداث المغربية"، بداية ثمانينات وتسعينات القرن الماضي. كتابة ملتزمة جعلت الحقوقي والكاتب الوديع الأسفي يقول إن جريدة "الاتحاد الاشتراكي" في الثمانينات كانت تجبرك على البدء في قراءتها من الصفحة الأخيرة حيث يجد القراء ضالّتهم في نافذة جواهري.



رأيه الخاص الذي يعبر عنه دوماً يتركز على أن أكثر من ثلاثين حزبا في بلد كالمغرب أمر لا يمكن أن نعتبره سوى تمييز للحياة السياسية ولمفهوم الأحزاب لدى المواطنين

الملائكة، و"حكاية بغل" كانت بلا شك مزجة ليس فقط للمسؤولين والحكام وإنما للقيادات الحزبية للاتحاد رغم رمزيتها، وقد تحدث عن التحقيق معه لساعات متواصلة من طرف النيابة العامة بسبب نافذة عنوانها "بشكل ثاني حبك إنت"، وحين سألته النيابة عما يقصده من وراء عنوان نافذته، رد بالقول: اسألوا صاحب الأغنية.

ويرى الباحث في العلوم السياسية محمد شقير في دراسة بعنوان "السخرية والسلطة في المغرب: من المأسسة إلى التجريم" أنه رغم بعض الأعمدة الساخرة المتناثرة في بعض الجرائد والأسبوعيات الصادرة في البلاد، ورغم تناول الرسوم الكاريكاتورية بعض الشخصيات السياسية بالسخرية والتندر، فإن ذلك ما زال لم يكرس بعد لثقافة سياسية ترسخ روح الدعابة والفكاهة وحرية التندر والهزل من مختلف مكونات المنظومة المخزنية في المغرب.

وفي تحليله لنوافذ جواهري، يؤكد الباحث الحسين الزهواني، أنها تمتاز بالذكاء التحريري حيث وظف مجموعة من الآليات للسخرية من الواقع، وأنه استطاع أن ينتج نصوصا ساخرة على مستوى الشكل، فاعلة في محتواها من أجل التعبير عن رؤيته للعالم وموقفه من الوجود، كما خلص إلى أن هذه النصوص المنتقاة أسهمت في تخصيب السخرية عن طريق ربطها بمجموعة من الوظائف النقدية والحجاجية والاحتجاجية في أفق التأسيس لمواقف إنسانية ترفض كل ما هو متدهور.

## بلقنة الخارطة السياسية

كتابته الساخرة لم تات من فراغ فهو القيادي الذي مارس كواليس السياسة مستعينا بترساة علمية قوية سهّلت له مسالك هذا الفن الصعب، ومقالاته السياسية والاجتماعية التي قدمها في قالب نقدي، كانت فريدة من نوعها في الصحافة المغربية حيث قامت بالتواصل لفن السخرية داخل الصحافة المغربية. كما أسهمت في خلق الوعي المضاد



حالة الشعر منذ أفلاطون قضية تبقى سرمدية كما يرى جواهري، صاحب رائعة "القمر الأحمر" التي غناها الفنان عبدالهادي بلخياط.

جواهري يعدّ من المناضلين السياسيين المدافعين عن الديمقراطية والحدّاءة وحقوق الإنسان، وهو يعتبر أن مهنته كمحام كانت محطة هامة للدفاع عن الحريات وفق القوانين المعمول بها.

في سماء الأغنية، فهي تمثل صوت الإبداع في المغرب، لأن الشعر والغناء عنصران توصل ثقافي إنساني باخ. ومثال ذلك قصيدة "القمر الأحمر" التي تمثل صورة غنائية، والتي جسدت لأول مرة في المغرب نصّاً غنائياً مركباً، إذ هناك مجموعتان موسيقيتان، أوركسترا سيمفونية وجوق المعهد الموسيقي بالرباط، والمقدمة السيمفونية عزّفت بقيادة المايسترو ماريون، ثم تم تركيب الصورة الغنائية والمؤثرات الصوتية داخل الاستوديو.

المتذوق يرصد الفرق الكبير والشاسع بين الضجيج والموسيقى وبين مجرد الكلام وبين الشعر الذي له ضوابط وقواعد ومقومات، ليست هذه دعوة إلى الكتابة الشعرية وفق قوالب جاهزة ومنمطة، بل هو يرى أن للشعر لغته الخاصة، وللموسيقى قواعدها، فالفنون لها لغتها وضوابطها التي تجعلها تتجسّد وتأخذ البعد الفني من مسرح وسينما وموسيقى وغناء وغير ذلك.

لا شك أن ارتباط جواهري بالنظم الشعري يمر عبر اللغة العربية التي شكلت في رأيه، الجسر الذهبي لعبور المعارف العلمية والفلسفية اليونانية والرومانية إلى أوروبا في عصر النهضة، وكذلك عبر حروفها صقل موهبته الشعرية كما فتحت له أبواب الكتابة بجرائد الحزب.

وإذا كانت الموسيقى والغناء والإبداع الشعري أموراً ترتبط بتهديب الذوق الجمالي العام للمجتمع، فلا بد للذين يشتغلون في الجانب الموسيقي أن يكونوا على دراية وإلمام بالعلوم الموسيقية، أو على الأقل مرؤا بمعهد من المعاهد الموسيقية بالمغرب أو خارجه، كما أن الأداء له قواعد التي يتم تلقينها وأخذها عن أساتذة ورواد، وإلا سبقت سوق الأغاني الاستهلاكية والتجارية هي الطاغية، ولم يتردد جواهري في الدعوة إلى ثورة جمالية تعيد إبداع الصور الشعرية والبلاغية وكل ما يصنع من الكلام شعراً.

مصلحة الوطن وتنتقد ما لا يدخل في مصلحة الوطن وتعرض البدائل، لكننا لم نسمع له رأياً بعد مشاركة الحزب اليساري في حكومة يقودها حزب العدالة والتنمية الذي ينهل من أدبيات الإسلام السياسي.

خفت اسمه في عوالم الصحافة والميدان الحزبي، إلا أنه ما يزال يقول إنه لم ينسحب من الصحافة ومن السياسة، بل تأمل بحزن عميق وهو ما عبر عنه شعراً، ويوضح ذلك بالقول "إن الكلام كثير، ومن الأفضل أن نفتح قلوبنا للشعر، فولاؤه للقصيدة كان أقوى فابعد نغماً دافئاً".

## رائد الشعر الغنائي

أما حالة الشعر فهي منذ أفلاطون قضية سرمدية، كما يرى صاحب رائعة "القمر الأحمر" التي غناها الفنان عبدالهادي بلخياط ولحنها المبدع عبدالسلام عامر. عبر عن رأيه الواضح والحاسم في الشعر الغنائي، سواء بالفصحى أو العامية، كأساس للغناء المغربي، عندما دعا إلى حماية جوهره ومضمونه الثقافي، كون المسألة لا تتعلق فقط بكلام ملقى على عواهنه، ولكن بصنف شعري اسمه الشعر الغنائي. ولهذا كان الشعراء المغاربة يتهبون القصيدة الغنائية.

ياسف جواهري لكون الثراء والغنى والتنوع الإبداعي في مختلف مناطق المغرب، فيما يتعلق بالإيقاعات والنصوص، لا يعكس الثراء والغنى الفني في ما هو سائد الآن، ويعين الخبير

الباحث الحسين الزهواني يقول إن نوافذ جواهري تمتاز بالذكاء التحريري حيث يوظف فيها مجموعة من الآليات للسخرية من الواقع، وقد استطاع أن ينتج نصوصا ساخرة على مستوى الشكل، فاعلة في محتواها من أجل التعبير عن رؤيته للعالم وموقفه من الوجود

ومن صور جواهري الشعرية التي كان للمرأة حضور جميل فيها وعرفت انتشاراً كبيراً قصيدة "مبعاد ورموش" من غناء بلخياط أيضاً، وقصائد مثل "راحلة" و"أشواق" و"تذكرى طفولة" و"الشفاه الحمر" لخميد الحياضي، و"مدينة العاشقين" و"أطفال الحجرة" لرجاء بللميج، وكذلك "ظلال" و"العشاق" التي غنتها كريمة الصقلي. ويبقى جواهري مدرسة أشرعت أبوابها أمام سلاسة اللغة وجماليتها وشفافيتها، بها بنى أهرام قصائده التي غنت للحرية والمشاعر الدافئة، والتي لامست قلوب الملايين بعد أن غنتها أصوات التحمت مع لحنها وإشراقاتها لتخلد شاعراً كبيراً وسياسياً فريداً وشخصية ساخرة من طراز خاص.

